من تراب الطريق (٣٥٤) ويل للعظماء من الأوغاد![*]

تربص الأوغاد بالعظماء ، ظاهرة قديمة ممتدة من الماضى إلى الحاضر .. رأينا ذلك فى كثير من حوادث الاغتيال ، ورأيناه أيضًا فى المعاكسات والمناكفات والمضايقات ، وفى التهجم والنكاية والكيد وإطلاق القذائف الباطلة والشائعات الكاذبة .. والاغتيال المعنوى إلى جوار الاغتيال المادى !

فالذى اغتال الفاروق عمر بن الخطاب ، هوَ أبو لؤلؤة المجوسى .. وكان مجوسيا من الأوغاد .. والذى اغتال الإمام علىّ بن أبى طالب ـ واحدٌ من الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم ، والذى اغتال غاندى متطرف شارد ، وكذلك كثير من حوادث الاغتيال .. ودراسة سير حياة الزعماء والساسة والأدباء والمفكرين والفنانين ، حافلة بكثير من قصص تربص الأوغاد بهم ، والتطاول عليهم ، والكيد لهم ، والنكال بهم ..

قد يكون الحسد بابًا لتحرش الصغار بالكبار ، والفاشلين بالناجحين ! .. بيد أن الحسد لا ينشأ إلاّ من خلال علاقة أو صلة تحرك الشعور بالنقص وتدفع الناقص الفاشل الموتور ، إلى حسد الناجح الذى يغمطه على نجاحٍ لم ينله هو .. لذلك فالحاسد لا يحسد غريبا عنه ، لأن هذه الغُربة لا

(*) المال٩/ ١١/ ٢٠٠٩

تستحضر المقارنة .. وإنما تكون المقارنة بين الأقارب والمعارف والزملاء والأصدقاء .. ونادرًا جدًا ما يسفر التربص بالقادة والعظماء عن كشف حالة حسد .. إنما قد يكشف عن بغض أو مقت أو رفض ، أو عدم توافق سياسى ، أو اعتراض على أعمال أو قرارات أو سياسات !

معنى هذا أن العظماء معرضون للنكيرين .. لنكير الحاسدين من دوائر معارفهم وأصدقائهم وذوى قرباهم .. حتى قيل فى الأمثال : الأقارب كالعقارب! .. ونكير دوائر المعترضين على سياساتهم أو أفكارهم واتجاهاتهم !

ومن النادر جدا أن يأتى الحسد والغيرة من ناجح ، وأندر أن يأتى من صاحب ملكات وإمكانيات .. مرد ذلك أن الحسد مرض حقيقى ، قيل عنه فى الحديث إنه كالنار يأكل صاحبه كما تأكل النار الحطب .. وذلك لا يصيب ذوى النجاحات أو الإمكانيات أو المؤهلات ، وإنما يتمكن من أصحاب العلل النفسية ومركبات النقص وخيبة الحاضر وانعدام الأمل الواعد فى المستقبل .. هنالك تسقط النفس فريسة للمقارنات ، لا يرضيها إلاّ أن تنزل بالمحسود إلى درك أقل من دركها ، ولا تتطلع ـ لأنها عاجزة ـ عن الرقى بنفسها لتحقيق ما تنفسه على الناجح وتغير منه وتحسده عليه !!

مشكلة ولا شك للمحسود أن تأتيه الغيرة والحسد وتداهمه بلواها من أقربائه أو أصدقائه ، فالمصاب عند ذاك مصابان .. مصاب الحسد الذى يأكل كالنار ويستخرج كل ما فى نفس الحاسد من شرور وضعة ،

والمصاب فى القريب الذى أعطى ظهره لآصرة القربى أو فى الصديق الذىَ خان الصداقة وتنكر لها وحسد صديقه ـ الذى كان ـ على ما أفاءت به عليه ملكاته ومواهبه وقدراته ..

انعدام الملكات والمواهب والقدرات ، هو الباب الواسع لمشاعر الغيرة والبغض والحسد .. وقدر على القامات والعظماء ، أن ذات هذه الملكات والمواهب والقدرات ـ هى التى تجر عليهم صغائر الصغار ، وحقد العاطلين من المواهب ، المهمشين على هامش الحياة ، الذين لا يجدون لأنفسهم مكانا أو موضعًا يزاحمون بـــه الكبار فيرمونهم بالأحجار ..

صدق الشاعر الذى قال :

قُل لمن بصروف الدهر عَيَّرنى ... هل عارض الدهرُ إلاّ من له خطرُ
ألم تر البحر تعلو فوقه الجيف ... وتستقـر فـى أعماقـه الـــدررُ
وكم على الأرضِ من خُضَرٍ وفاكهةٍ ... وليـس يُرجـمُ إلاّ مـن لـه ثمرُ
وفى السماء نجوم لاعداد لـها ... وليـس يُكْسـفُ إلاّ الشمس والقمرُ

*****